من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح لا هجرة ولكن جهاد ونية وايضا فالفتح المطلق
كما في قوله لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ولهذا قال الناس حيز وانا واصحابي حيز وروى ا... هلال ثم
طريق هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح الى اخر السورة قال نعيت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم نفسه حين انزلت فاخذ في اشد ما كان اجتهادا في امر الاخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء اهل اليمن فقال رجل يا رسول الله وما اهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة قلوبهم
الايمان يمان والحكمة يمانية والفقه يمان وروى ابن جرير من طريق الحسين بن عيسى الحنفي عن معمر عن الزهري عن ابي حازم
عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة اذ قال الله اكبر الله اكبر جاء نصر الله والفتح جاء اهل اليمن قيل يا رسول الله
وما اهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة طاعتهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية ورواه ايضا من طريق عبد
الاعلى عن معمر عن عكرمة مرسلا وكذا هو في تفسير عبد الرزاق عن معمر اخبرني من سمع عكرمة فارسله وهذا لا يدل على
اختصاص اهل اليمن بالناس المذكورين في الاية وانما يدل على انهم داخلون في ذلك فان الناس اعم من اهل اليمن قال
ابن عبد البر لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي العرب رجل كافر بل دخل الكل في الاسلام بعد حنين والطائف منهم من
قدم ومنهم من قدم وافده ثم كان بعده من الردة ما كان ورجعوا كلهم الى الدين قال ابن عطية المراد والله اعلم العرب
عبدة الاوثان واما نصارى بني تغلب فما اراهم اسلموا قط في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن اعطوا الجزية و
الافواج الجماعة اثر الجماعة كما قال كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها وفي المسند من طريق الاوزاعي حدثني ابو عمار
حدثني جار لجابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله يسلم علي فجعلت احدثه عن افتراق الناس
وما احدثوا فجعل جابر يبكي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا
وقوله فسبح بحمد ربك فيه قولان حكاهما ابن الجوزي احدهما ان المراد به الصلاة نقله عن ابن عباس والثاني التسبيح المعروف
وفي الباء في بحمد قولان احدهما انها للمصاحبة فالحمد مضاف الى المفعول اي فسبح حامدا له والمعنى اجمع بين تسبيحه وهو
تنزيهه عما لا يليق به من النقائص وبين تحميده وهو اثبات ما يليق به من المحامد والثاني انها للاستعانة والحمد مضاف
الى الفاعل اي سبح بما حمد به نفسه اذ ليس كل تسبيح بمحمود كما ان تسبيح المعتزلة يقتضي تعطيل كثير من الصفات كما كان
بشر المريسي يقول سبحان ربي الاسفل وقوله واستغفره اي اطلب مغفرته والمغفرة هي وقاية شر الذنب لا مجرد ستره و
الفرق بين العفو والمغفرة ان العفو محو اثر الذنب وقد يكون بعد عقوبة عليه بخلاف المغفرة فانها لا تكون
مع العقوبة وقوله انه كان توابا اشارة الى انه سبحانه يقبل توبة المستغفرين المنيبين اليه فهو ترغيب في الاستغفار
وحث على التوبة وقد فهم طائفة من الصحابة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالتسبيح والتحميد والاستغفار
عند مجيء نصر الله والفتح شكرا لله على هذه النعمة كما صلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وكذلك صلى سعد يوم

فتح

فتح المداين وكانت تلك تسمى صلاة الفتح واما عمر وابن عباس فقالا بل كان مجيء النصر والفتح علامة على اقتراب اجله وانقضاء
عمره فامر ان يختم عمله بذلك ويتهيأ للقاء الله والقدوم عليه على اكمل احواله واتمها فانه لما جاء نصر الله والفتح بحيث
صارت مكة دار اسلام وكذلك جزيرة العرب كلها ولم يبق بها كافر ودخل الناس في دين الله افواجا وقد بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالات ربه وعلم امته مناسكهم وعباداتهم وتركهم على البيضاء ليلها كنهارها لم يبق له في الدنيا
حاجة فحينئذ تهيأ للنقلة الى الاخرة فانها خير له من الاولى ولهذا انزلت اليوم اكملت لكم دينكم بعرفة وعلم الامة
مناسكهم وقال لهم لعلي لا اراكم بعد عامي هذا وقال لهم هل بلغت قالوا نعم واشهد الله عليهم بذلك وودع الناس
فقالوا هذه حجة الوداع وقد خير صلى الله عليه وسلم بين الدنيا وبين لقاء ربه وكان اخر ما سمع منه اللهم الرفيق الاعلى ونظير
هذا الفهم الذي فهمه عمر من هذه السورة ما فهمه ابو بكر من قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين
لقاء ربه فاختار لقاء ربه وقد سبق من حديث ابن عباس ما يدل على ذلك وفي صحيح البخاري من حديث سعيد بن جبير عن
ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا ابناء مثله
فقال عمر انه من قد علمتم ودعاهم ذات يوم فادخلني معهم فما رايت انه دعاني فيهم الا ليريهم فقال ما تقولون في قول
الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا جاء نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم
فلم يقل شيئا فقال لي اكذاك تقول يا ابن عباس فقلت لا قال فما تقول فقلت هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه له قال
اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر بن الخطاب لا اعلم
منها الا ما تقول وقد رويت هذه القصة عن ابن عباس من غير وجه وفي المسند عن ابي رزين عن ابن عباس قال
لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح علم النبي صلى الله عليه وسلم ان قد نعيت اليه نفسه وقد سبق من حديث ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه السورة اخذ في اشد ما كان اجتهادا في امر الاخرة وروى الخرائطي في كتاب الشكر
من طريق سار بن فياض عن الحرث بن شبل عن ام النعمان الكندية عن عائشة قالت لما نزلت هذه الاية انا فتحنا لك
فتحا مبينا اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة فقيل له يا رسول الله ما هذا الاجتهاد اليس قد غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا اسناده ضعيف وروى البيهقي من طريق سعيد بن سليمان عن عباد
بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاطمة وقال انه قد نعيت الي نفسي فبكت ثم ضحكت وقالت اخبرني انه نعيت اليه نفسه فبكيت ثم اخبرني انك اول
اهلي لحاقا بي فضحكت وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار بعد نزول هذه السورة
ففي الصحيحين عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك
اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران وفي المسند وصحيح مسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)